

## المبحث الثاني نقد المجتمع

حفل شعر إبراهيم خليل علاف الوطني بألوان من النقد الاجتماعي البناء، حمل في حناياه مشاعره الوطنية والاجتماعية الصادقة التي هدفها الارتقاء بالفرد، على اعتبار أنه نواة المجتمع الذي يتكون منه الوطن.

وهو من خلال ذلك النقد الموجه يسعى جاداً لتخليص وطنه من العيوب والأدواء التي من شأنها -في حالة استشرائها- تهديد الوحدة التي تنتظم أبنائه، وهز المكانة السامية التي يتبوأها والمنتمون إليه في أعين الناس من حولهم.

لقد تناول العلاف في شعره الوطني عدداً من العيوب والأدواء الطارئة وغير المألوفة في مجتمع يستمد منهجه في الحياة من الشريعة الإسلامية السمحة، بكل ما تحويه من مبادئ وقيم وتعاليم. والأدواء والعيوب الاجتماعية التي سلط عليها الأضواء ناقداً ومحذراً وموجهاً تتمثل فيما يأتي:

### 1- الكبر والغرور:

من الأدواء والعيوب التي تسللت إلى المجتمع ووجدت الطريق لها ممهداً للتغلغل في نفوس بعض أفرادها، نتيجة لضعف الوازع

الديني لديهم والإحساس بالنقص والدونية، الكبر والغرور. وقد ساعد على تمكنه منهم حصولهم على ما يميزهم عن الآخرين، وقد جعلهم ذلك يتصورون أنهم أفضل من غيرهم، ممن يشاركونهم العيش على بساط الحياة الممتد.

والعلاف عندما يتصدى للمبتلين بهذا الداء العضال إنما يسعى لاستئصاله وتطهير نفوسهم منه، وذلك لإدراكه للأخطار والأضرار التي ستنتج عنه، والتي ستتجاوز الفرد إلى المجتمع ومن ثم الوطن.

وقد انتهج العلاف في تصديه لهذا الداء وسائل عدة، يأتي في مقدمتها التهكم والسخرية من المتجلببين بذلك الرداء الصفيق. فهو في قصيدته (مخدوع) يجسد مشاعر وأحاسيس إنسان ابتلى بداء الكبر، بحيث لم يعد يرى أو يسمع سواد على بساط الحياة الممتد، ويقدمه في صورة (كريكا تورية) تبعث في نفس متلقيها مشاعر الازدراء والاحتقار والإشفاق في آن (42):

أَخُّ قَدْ خَانَهُ الْكِبَرُ

وَعَمَطَ الْحَقُّ وَالسُّخْرُ (43)

يَظَلُّ مُصَعَّرًا خَدًّا

صَفِيحًا لِحُظُّهُ شَزَّرُ (44)

كَمِثْلِ أَوْزَةٍ مُلِئَتْ  
غُرُوراً فِيهِ تَجْتَرُ  
كَأَنَّ النَّاسَ مِنْ صَدَفٍ  
لَدَيْهِ وَشَخْصُهُ دُرٌّ  
حَيَاةٌ سِوَاهُ تَافِهَةٌ  
وَعِزَّةٌ غَيْرُهُ نُكْرٌ  
وَعَيْرُ سُلُوكِهِ نَزَقٌ  
وَعَيْرُ حُدَيْثِهِ قِشْرٌ (45)

ويتوجه إلى ذلك الإنسان المتعجرف، متسائلاً عن كينونته التي يحاول تجاهلها، مبيناً له - على سبيل التندر والسخرية - عجزه عن فهمه ؛ عليه يجد ما يدفعه إلى الظهور بذلك المظهر الأخلاقي السيئ (46) :

أَخِي مَنْ أَنْتَ خَبَّرَنِي  
فَفَضْلُكَ كُنْهُهُ سِرٌّ  
وَلَا تَبْخَلْ بِتَرْجَمَةٍ  
عَلَى مَنْ عَجَزَهُ عُدْرٌ  
وَلَا تَحْسَبْ مُنَاشِدَتِي  
بِيَانِكَ أَنَّهَا مَكْرٌ  
وَأَنَّ غُـبَاوَتِي زَيْفٌ  
لَهُ يَتَسَتَّرُ الْخُبْرُ



وسامِحني على جَهلي

بِقَدْرِكَ أَيُّهَا الْوَتْرُ<sup>(47)</sup>

وفي قصيدة أخرى يتوجه إلى ذلك المغرور المتكبر مذكراً له بأصله الذي منه جاء، والذي يحاول نسيانه والتسامي عليه، وبيعض خواصه التي تحمل أدلة على ضعفه وعجزه، ولا يمكنه -بأي حال من الأحوال- إنكارها أو دفعها عن نفسه. وهو من خلال ذلك يحاول إرجاعه إلى جادة الصواب، وتخليصه مما هو فيه، حتى يعود فرداً صالحاً في المجتمع<sup>(48)</sup>:

أَعْلِمْتَ أَصْلَكَ مِنْ تُرَابٍ أَبْخَرَا

أَعْرِفْتَ بَدْرَكَ كَيْفَ فِيهِ تَطَوَّرَا<sup>(49)</sup>

أَشْهَدْتَ أَنَّ الْعَجْزَ فِيكَ بَدَايَةٌ

وَنَهَايَةٌ وَالضَّعْفُ لَفَّكَ مِحْوَرَا

فِي مَمَّ الْغُرُورُ إِذْنٌ وَفِي مَمَّ تَطَاوُلُ

أَطَنَّتَ أَنَّ الْحَقَّ أَيْضاً سُخَّرَا

إِنَّ التَّعَارُضَ فِي حَيَاتِكَ مَفْسِدٌ

خُيَلَاءَ مِثْلِكَ قَدْ تَأَلَّهَ مَظْهَرَا

هَذَا الدُّبَابُ يَطُوفُ حَوْلَكَ هَازِئاً

وَيَغِيظُ فَانْكَ فَانْفِهْ مُتَكَبِّرَا

وَأْمُرْ بِرَشْحِكَ أَنْ يَجِفَّ مُؤَبِّداً

وَيَبْطَلِقْ جَوْهَكَ أَنْ يَكْفَّ مُنْفَرَا

## بِالْفِكْرِ أَيْدِكَ الْإِلَهُ وَبِالْهَدَى بِهِمَا تُحَقِّقُ كُنْهَكَ الْمُتَخَيَّرَا

وإذا كان العلاف في النصين السابقين لم يشر إلى الأسباب والدواعي التي زينت لبعض أفراد المجتمع الظهور بذلك المظهر الشاذ، فإنه في قصيدته (على لسان صديقين) يكشف عن أحد الأسباب القادرة على بذر ذلك الداء في النفوس الضعيفة الخاوية، وهذا السبب يتمثل في تسنم المناصب الوظيفية العالية في المجتمع. وهو في تلك القصيدة يجسد خيبة أمله في أحد أصدقائه، بعد أن أجمت الشوق في عالمه الذكريات الجميلة التي ما فتئت تطوف بمخيلته، وتلح عليه في زيارة ذلك الصديق القديم والزميل العزيز، الذي جمعته به مقاعد الدراسة - داخل الوطن وخارجه - فتوثقت بينهما عرى الصداقة، وبعد العودة تفرقا ليعمل كل منهما في قطاع من القطاعات الحكومية. وأمام سيل الذكريات، وتسامق الأشواق في وجدانه، لم يجد بداً من الذهاب لزيارته، ليصل ما انقطع. وما إن التقيا - بعد فترة غياب - حتى لاحظ الإعراض منه والجفوة، وبداله من ذلك الصديق ما كان خافياً، فقد تسلل الغرور والكبر إلى نفسه، وأخذت أذنه تتلذذ بعبارات الإطراء التي يتفنن في إلقائها الموظفون في دائرته، ليس لأنه يستحق ذلك منهم، وإنما وجدوا فيها طريقاً إلى ما يطمحون إليه، لعرفتهم الأكيدة بحبه

لسماع مثل تلك العبارات الرنانة، لأنها تشعره بأهميته، وتحقق له شيئاً مفقوداً، يحسه هو لكنه لا يصارح به.

يقول العلاف مبدياً تأمله من موقف ذلك الصديق، ومن وضعه الذي آل إليه (50)

ويا هولَ ما لاقَيْتُ صَمْتًا وَجَفْوَةً  
 غَدَا بِهِمَا فَآلِي كَثِيبًا وَشَاكِبًا  
 فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الْوَدَّ كَدَّرَ صَفْوَهُ  
 غُرُورٌ وَجَذْرٌ قَدْ تَضَخَّمَ كَاذِبًا  
 وَأَنْتَكَ عَطَلْتَ الضَّمِيرَ مُشَايِعًا  
 هَوَاكَ عَلَى نَبْذِ الْمِبَادِي جَانِبًا  
 وَأَمْسَيْتَ آذَانًا وَرَأْسًا مُطَاوِعًا  
 خَلِيًّا لِمَنْ أَفْضَى إِلَيْهِ مُجَادِبًا  
 يَدُبُّ إِلَيْهِ الطَّامِعُونَ خَنَافِسًا  
 وَيَسْرِي إِلَيْهِ الْمَاكِرُونَ عَقَارِبًا  
 فَأَكْرَمْتَ نَفْسِي أَنْ أَدْلَّ تَمَلُّقًا  
 وَصُنْتُ عَفَافِي أَنْ يَرِقَّ مَعَاتِبًا

## 2- التملق الاجتماعي؛

من الأدواء التي ظهرت في المجتمع وتصدى لها العلاف في شعره الوطني، التملق الاجتماعي. وقد ظهر هذا الداء نتيجة

(لحاجة الناس، ولضعف التربية، وللتواكل لا التوكل، وفقدان الحياة العملية الجادة التي تزرع في الفرد من صغره)<sup>(51)</sup>.

وأكثر ما يظهر هذا الداء في دوائر العمل، حيث يتخذ بعض الموظفين سلماً للوصول إلى غاياتهم التي يطمحون إليها.

واستشعار العلاف لخطر هذا الداء على الفرد وعلى الوطن بأسره دفعه إلى التصدي له، و إبداء سخطه - والناس من حوله - على من انتهجوا ذلك النهج في حياتهم، والذين شجعوهم عليه، حتى غدا سنة يقتضي فيها اللاحق أثر السابق ؛ لما في ذلك من ظلم وسلب لحقوق الناس المؤهلين والقادرين على القيام بأعمالهم على خير وجه، ومنحها لأناس ليسوا جديرين بها، لافتقادهم التأهيل العلمي والخبرة والجد والاجتهاد، وكل الذي يجيدونه التملق والتزلف، وعبارات معسولة فقدت جمالياتها وصدقها، إلا أنها تجد من يشنف لها أذنه من بعض المسؤولين الذين وضعتهم الأقدار في أماكن لا يستحقونها، فيصدقون كل ما يقال لهم وعنهم، ويسبغون على من يظهر لهم ذلك كل ما يطمح إليه ؛ حتى لا يفقدوا تلك النعمة المحببة إلى نفوسهم الجوفاء.

وها هو ذا يقول مخاطباً أحد المتلونين الذين وصلوا إلى غاياتهم عن طريق تزلفهم وتملقهم، لاعن كفاءة وجدارة<sup>(52)</sup>:

أَحْرَزَتْ رِضَى السَّيَادَاتِ  
وَأِنْعَاشَ الوَسَّاطَاتِ  
وَفُزَّتْ بِرِثْبَةِ عُظْمَى  
وَشَيْكاً دُونَ إِعْنَاتِ  
وَأَجْدَرَ مِنْكَ مُنْتَظِرُ  
عَلَى وَعَدِّ وَإِفْلَاتِ  
وَأَكْرَمَ مِنْكَ سَابِقَةَ  
يُعَكِّزُ بِالشَّافِعَاتِ

وعلى سبيل التندرو السخرية من الحالة التي آل إليها المجتمع نراه يحث المؤهلين من أبناء وطنه والجادين على سلوك الطريق نفسه، بإظهار الحب والتقدير لرؤسائهم، والتفنن في ترميق وسكب العبارات التي تجد لها صدىً عند من فقدوا جل مقومات النجاح؛ حتى يصلوا إلى ما وصل إليه غيرهم، وطرح الكفاءة والجدارة والقدرات جانباً، لأنها لم ولن تجد لها تقديراً أو متنفساً في ظل الوضع الذي يعيشه المجتمع (53):

أخي إن شئت أن تحظى  
بسهمٍ في ارتقاعاتِ  
فصانعٍ وابتغِ الزُّلفى  
بتكرارِ الزِّيَّاراتِ

وَأَغْمِضْ عَيْنَكَ الْيُسْرَى  
لِأَخْطَاءٍ وَنَزَوَاتٍ  
وَكُنْ نَائِباً مَخَارِجُهُ  
مَعَازِفُ لِلدُّعَايَاتِ  
وَكُنْ فِي الْحَقِّ مُقْتَصِداً  
وَقَوْساً لِلرَّمَايَاتِ  
وَمُفْتَاباً وَإِمَّعةً  
تُصَفِّقُ لِلْحَمَاقَاتِ

ويتجاوز في إدانتته هذه التصرفات غير المسؤولة مجتمعه إلى  
الشرق الإسلامي عامة، حيث يقول (54):

فَهَذَا الشَّرْقُ أَفْتُهُ  
مَنَاهَضَةُ الْكَفَاءَاتِ  
وَكَمْ بِجُجُودِهِ نُسِخَتْ  
مُكَافَأَةُ الرَّجَالَاتِ

ويكشف عن هذه المأساة بعمق في قصيدته (الموظف) حيث  
يجسد فيها تسابق المؤهلين الجادين وغيرهم إلى التقديم في  
مكاتب العمل عندما يتم الإعلان عن إحدى الوظائف الشاغرة في  
أي قطاع من القطاعات، وما إن ينتهي ذلك التسابق، ويشتعل  
الانتظار في أحداق وأفئدة المتقدمين، حتى تعلن النتيجة. وقد يفوز

بها من يستحقها، إلا أن فرحته بتلك الوظيفة سرعان ما تتلفى. فما إن يكتشف رئيسه جده واجتهاده، ويقف على ذكائه المفرط، وعدم إقباله عليه بالعبارات الرنانة -لعدم إجادته لها وإيمانه بها - التي ألفت سماعها فاشتقت لها أذناه، حتى يأخذ في التفتن في التكيل بذلك الموظف، والتنوع في أساليب التعامل معه، والتي من شأنها التأثير في نفسيته، وحرمانه من أبسط حقوقه بوصفه موظفاً مجتهداً، قادراً على إنجاز الأعمال والمهام المنوطة به (55):

و إذا تَهَادَتْ بِالِدَّلَالِ وَوِظِيْفَةً  
أَخْلَى حِمَاهَا لِلرِّجَالِ طَلَاقُ  
وَعَدَا لِحِطْبَتِهَا أَحَقُّ بِضَمِّهَا  
غَارَتْ وَجَدَّتْ فِي أَذَاهُ رِفَاقُ  
وَالخُسْرُ كُلُّ الخُسْرِ إِنْ هُوَ مُخْلِ  
صُّ مُتَنَزِّهٌ لَا يَعْتَرِيهِ نِفَاقُ  
كَمْ مَرَّةً أَهْوَى عَلَيْهِ رَئِيسُهُ  
بِحُمُولَةٍ فَأَمَضَهُ الْإِرْهَاقُ  
وَإِذَا تَمَلَّمَ قَاصِرًا عَنْ فَضِّهَا  
فَصَرَامَةٌ وَمَلَامَةٌ وَشِقَاقُ  
وَمَتَى تَبَيَّنَ فِيهِ وَمَضَ مَوَاهِبُ  
وَفِرَاسَةٌ شَفَّتْ لَهَا الْأَعْمَاقُ

كَانَ التَّجَاهِلُ حَظَّهُ وَيَفُوقُهُ

بِالسَّبْقِ مِنْ لَا يَصْطَفِيهِ سِبَاقُ

ويؤكد العلاف لمن ينتهجون هذا النهج مع التابعين لهم من الموظفين خطأهم، لأنهم يتسببون في حرمان الوطن من طاقات شابة، من شأنها أن تقدم لوطنها بعض ما يطمح إليه ويعلم به (56) :

إِنَّ التَّفَاوُلَ لَيْسَ كَبْتَ كَفَاءَةَ

لَأَخِ أَحْيَطَ بِمَبْتَغَاهُ وَثَاقُ

وَهِيَ السَّعَادَةُ لِاتْفُوحِ حَبِيسَةً

كَالْعِطْرِ ضَاعَفَ نَفْحَهُ الْإِطْلَاقُ

وفي قصيدته (خداع) يضع الذين وصلوا إلى بعض المناصب عن طريق التملق والمداهنة وجهاً لوجه أمام نظرة المجتمع لهم، وهي نظرة تبدي انتباه أفراد المجتمع لمثل تلك السلوكيات السلبية، وتعكس سخطهم عليها، وكرههم لها. والعلاف يسعى من خلال ذلك إلى تخليص الواقعيين من أبناء وطنه في برائن تلك السلوكيات، ويحث على تحقيق العدالة وإحقاق الحق؛ إذ لا بد عنده من وضع الأمور في نصابها الصحيح، وأن ينال كل فرد في المجتمع ما يستحقه وفق مزاياه والجهد الذي يقدمه (57) :

إِذَا كُنْتَ حَقًّا مِنْ هُوَاةِ التَّسْلُقِ

فَأَوَّلُ مَا تَحْظَى بِتَهْمَةِ سَارِقٍ



وَأَنْتَ بَعَّوَجَاءِ السَّلَالِمِ أُسْنِدَتِ  
على قِمَمِ الْأَشْلَاءِ أضعْفُ شَاهِقِ  
فَلَا تَسَّ مَعْرُوفَ الْمُحِيطِ مُشْجَعًا  
لُصْطَنَعَ التَّمَثِيلِ مِنْ غَثِّ طَارِقِ

### 3- المغالاة في المهور

من الأدواء التي انتشرت في المجتمع -لاسيما بعد الطفرة -  
ظاهرة مغالاة أولياء الأمور في مهور بناتهم ؛ طمعاً في كسب  
الأموال من وراء تزويجهن، وكأنهن سلعاً تباع وتشتري، ولسن فلذات  
أكباد من حقهن على آبائهن السعي لإسعادهن.

وانتشار هذه الظاهرة ومن ثم تماديها له آثار و عواقب وخيمة،  
سيتجرع الوطن والمتمتون إليه صابها وعلقمها .

وقد انتقد العلاف هذه الظاهرة، وأبان عن اختلال المعايير  
التي ترتبت عليها في النظر إلى الراغبين في الزواج من الشباب .

ففي قصيدته (مشكلات الشباب) يعرض لتلك السلبية التي  
اختلفت بسببها المعايير التي حث الدين الإسلامي على تحريها في  
الشباب الراغبين في الزواج. حيث يجسد حكاية شاب عصامي،  
تقدم إلى إحدى الأسر راغباً الزواج من إحدى بناتها، وقد أنست به  
من وقع عليها الاختيار بعد أن رأت ما يشدها إليه خلسة. وما إن  
أبدى تلك الرغبة لوالدها، حتى طلب منه مهلة ليقوم بالسؤال عنه،

فانصرف على أمل اللقاء مرة أخرى. وشرع الأبوان يسألان عنه إلاّ أنهما نشدا شيئاً آخر غير الدين والأخلاق، وعندما وقفنا على حاله الذي لم يعجبهما، أو صدا الباب في وجهه بتجاهلها له ولطلبه، غير مبالين بموقف ابنتهم ولا برأيها فيه.

يقول العلاف في بداية القصيدة مجسداً رغبة تلك الفتاة في الزواج، مثلها مثل كل الفتيات في سنها (58):

بَيْنَ بِنْتٍ وَأَبِيهَا  
وَشَرِيكِ يَبْتَغِيهَا  
قَدْ تَمَنَّتْ فِي صِبَاها  
فَارِساً عَزَّ شَبِيها  
وَأَنْقَضَى عَامٌ فَعَامٌ  
تَهَضُّمُ الصَّبْرِ الْكَرِيها  
وَاسْتَوَى مِنْهَا شَبَابٌ  
وَفَتَى الْأَحْلَامِ طَيِّفٌ  
وَمِثَالُ يَسْتَبِيها

ويصف شعورها وما كان منها عندما علمت أن هناك من يريد لها نفسه، وأنه مائل الآن أمام والدها، فراودتها نفسها برؤيته، وقد استطاعت بفضل أحاسيسها الملتهبة وحدها أن تميزه من بين الجالسين. (59):

شَعَرْتَ يَوْمًا بِهِمْسٍ  
عَنْ خَطِيبٍ يَصْطَفِيهَا  
وَبِلُطْفٍ مَيِّزْتَهُ  
جَالِسًا جَنْبَ أَخِيهَا  
وَأَزَّتْهُ كَيْمَتُهُ  
أَسْتُ فِيهِ وَجِيهَا  
جَلَسَتْ أُولَى وَوَلَّتْ  
وَعَسَى الْأُخْرَى تَلِيهَا

ثم يعرض لموقف أهلها، ويكشف عن المعايير التي يحرصون على توافرها في ذلك الشاب، واجتهدوا في السعي للوقوف عليها(60):

وَأَنْبَرَى سَارِي التَّحَرِّي  
نَاشِدًا دَخْلًا وَفِيرَا  
يَضْمَنُ التَّرْفِيَةَ جَمًّا  
يَجْعَلُ الْفَخْرَ قَرِيرَا  
وَإِذَا عُقْبَاهُ دَلَّتْ  
أَنَّهُ شَبَّ فَقِيرَا  
لَيْسَ مَا يَمْلِكُ إِلَّا  
جَهْدُهُ يَحْيَا أَجِيرَا

ويقدم بعض الصفات المعنوية التي يتميز بها ذلك الشاب والتي  
ضحى بها أهلها، حرصاً على سعادتهم التي لا تأتي إلا بما يشبع  
بطونهم الجوفاء و أحداقهم الفارغة(61):

إِرْتُهُ غُرُّ السَّجَايَا

بِالْهُدَى أَرْكَى ضَمِيرَا

وَعِصَامِي هُمَامٌ

يَحْصُدُ الْجِدَّ مَرِيرَا

ذُخْرُهُ نَزْرُكَ فَافٌّ

لَيْسَ يَزْدَادُ كَثِيرَا

وعندما حان موعد الزيارة الثانية لمعرفة رأي ذوي الفتاة، أناب  
الشاب من يذهب بدلاً عنه ؛ حتى لا ينكسر أمام الجمع،  
لإحساسه - منذ البدايات - بموقف الأبوين، ورغباتهما الدفينة  
التي لم يفصحاً عنها(62):

وَاقْتَضَى الْمِيْعَادُ رَجْعِي

وَارْتَضَى عَنْهُ سَفِيرَا

عَادَ لَكِنْ دُونَ بُشْرَى

فَقَدَا الْحُزْنَ سَمِيرَا

ويتبع موقف أهل الفتاة السيئ بموقفه هو بوصفه مواطناً  
يدرك أبعاد استئراء هذه الظاهرة، صاباً جام غضبه عليهم، بعد

أن فرطوا في شاب قد يقوده جده و اجتهاده إلى أن يكون ممن  
يشار إليهم بالبنان في المجتمع، وحكموا على ابنتهم بالعنوسة التي  
كانت ثمرة طبيعية لمغالاتهم وجشعهم (63):

كَانَ سَخْفًا مِنْ ذَوَيْهَا  
أَنْ يَرُدُّوا مُسْتَنْبِرًا  
سَوِّفَ يَغْدُو بِكِفَاحٍ  
رَائِعَ الْحِظِّ أَثِيرًا  
أَعْنَسَتْ عَسْفًا وَضَاعَتْ  
وَعَدَا الْوَضْعُ حَاطِرًا

وفي قصيدة (شكاوى) يتيح الفرصة لإحدى الفتيات لتبوح  
بالآلام التي تتصارع في وجدانها بسبب مغالاة أهلها في مهرها،  
حتى عزف الخطاب عن طرق بابهم ؛ لمعرفة المسبقة بالرد الذي  
ينتظرهم إن هم هموا بذلك، قائلة (64):

أُيْرَضِيكَ بِاللَّهِ هَذَا الْعَذَابُ  
تُعَانِيهِ أُنتَى بِفَعْلِ الشَّبَابِ  
فَعَشْرُونَ عَامًا مَضَتْ لَمْ أُذُقْ  
لِتَلطِيفِ شَوْقِي غَيْرِ السَّرَابِ  
وَلَمْ يَكُ ذَاكَ لِنَقْصِ الْجَمَالِ  
وَلَا لِغَرِيبِ السُّلُوكِ يُعَابُ

سوى أَنْ أَهْلِي قَدْ سَاوَمُوا

بحسني حَتَّى تَلَاشَى اِخْتِطَابُ (65)

#### 4- عيوب وأدواء أخرى

وقف العلاف في شعره الوطني عند عيوب و أدواء اجتماعية أخرى لا تقل عن سابقتها في الخطورة والآثار، ويأتي في مقدمتها عشق المال والتهافت على جمعه بالطرق المشروعة وغيرها، وقد ترتب على هذا الداء فساد في الأخلاق لدى الواقعين في برائن حب المال- من مالكيه أو الساعين إلى جمع أكبر قدر منه - وظنُّ به على المحتاجين إليه، وعلى أوجه البر والخير المشرعة الأبواب.

وفي ذلك يقول العلاف مبيناً مرارة الحياة والعيش في ظل ذلك الصراع المحموم وراء جمع المال(66):

أَصْبَحَ الْعَيْشُ صِرَاعاً

واضْطِرَاباً وَضِياعاً

وَعَدَا مُرّاً كَرِيهاً

يَشْحَنُ الرُّوحَ صُداعاً

وُلْهاثاً خَلْفَ مالٍ

وَفُجوراً يَتداعى

غَلَبَ الحِلَّ حَرَامٌ

وَرَمَى الشَّرْقِناعاً



## وَعُرِيَ الْأَخْلَاقِ حُلَّتْ

### وَأَشْتَكِي الْكُلَّ التِّيَاعَا

وينعي على بعض عشاقه بخلهم الشديد به، وعدم دفعهم الحقوق الواجبة عليهم فيه، من زكاة، وصدقات. أو المشاركة بقدر منه في المشاريع التنموية التي ستعود عليهم وعلى أبناء وطنهم بالنفع والفائدة. ويحذرهم في الوقت ذاته من العاقبة التي تنتظرهم إن هم تمادوا في كنزهم لها (67):

وذوو اليسارِ تَعَبَّدُوا أَمْوَالَهُمْ  
وَنَسُوا حُقُوقاً لِلْبِلَادِ جِسَامَا  
لَا يَرْحَمُونَ مِنَ الْبَطَالَةِ كَثْرَةً  
تَجِدُ الرِّذَائِلُ بَيْنَهَا إِكْرَامَا  
أَوْ يُنْعِشُونَ مِنَ الثَّقَافَةِ مُسْتَوَى  
أَوْ يُصَلِّحُونَ مِنَ الْمَرَافِقِ ذَا مَا (68)  
أَوْ يَمْنَحُونَ الْبِرَّ مُضْطَرّاً لَهُ  
أَوْ يُخْرِجُونَ مِنَ الزَّكَاةِ حَرَامَا  
سَتُطَوَّقُونَ بِمَا بَخِلْتُمْ فَاتَّقُوا  
نُذْرَ الْإِلَهِ وَشَذَبُوا الْأَرْقَامَا

وإلى جانب هذا الداء والعيب هناك عيوب وأدواء أخرى ألمح إليها إلماحاً كالإسراف والتبذير خاصة من الزوجات، فهن كثيرات

المطالب، غير آبهات بما ستسفر عنه شمس الغد، في ظل محدودية رواتب بعض الأزواج، وكثرة الأبناء واحتياجاتهم.

يقول العلاف على لسان أحد الأزواج<sup>(69)</sup>:

أَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَلْبَسٌ يَتَجَدَّدُ  
تَمِينٌ وَحَافِلٌ بَاهِرٌ يَتَرَدَّدُ  
وَتَكَلِفَةٌ يَشْكُو الثَّرِيُّ اطْرَادَهَا  
فَمَا بَالُ أَمْثَالِي وَدَخَلِي مُحَدَّدُ  
أَلَا أَقْصِرِي عَنِ بَهْرَجِ الْعَيْشِ وَالْمَنَى  
وَالْإِخْطَى طِفْلِي تَلَوَّى بِهَا الْغَدُ

وداء آخر تفشى في المجتمع وله آثاره البالغة الخطورة على البنية الاجتماعية، وهو داء الطلاق، الذي جاء نتيجة لمحدودية النظرة عند بعض الأزواج، وعدم الإحساس بالمسؤولية، بالإضافة إلى العناد، وعدم الصبر عند مواجهة بعض الزواج المثيرة للأمواج، وتغليب المصلحة الفردية التي ستعود على أحدهما دون التفكير في الأبناء ومصيرهم بعد وقوعه.

والعلاف يدرك خطورة هذا الداء على الأبناء والمجتمع بأسره؛ لذلك نجده في تصديه له يقوم بتقديم عدد من النصائح للزوجين؛ حتى لا يسهما في افتقاد الوطن لإحدى ركائزه ومكتسباته<sup>(70)</sup>:



فإذا المرونةُ وقَّتْ  
ريحُ الكرامةِ لن تشورُ  
أما إذا اشتطَّ العنا  
د ولم يعدَّ سهلَ العبورُ  
عكسَ البدايةِ والتَّسا  
مُحَ عَبْرَ أَيَّامِ الغُرورِ  
فلقد تَسَلَّلَ لِلْعُرى  
عُثُّ القَطِيعَةِ والنُّفُورِ  
و إذا الصِّغارُ هُمُ الضَّحَا  
يا بالذُّ بولٍ كما الزُّهورُ  
مُسْتَقْبِلُ النَّشْءِ الغَرِيْبِ  
عِبِ أَهْمٌ مِنْ كِبْرِ الصُّدُورِ  
وهُمُ الرِّباطُ الحَقُّ لل  
أَبوينِ في كُلِّ العُصورِ  
بِئْسَ الطَّلَاقُ فَإِنَّهُ  
كَفَنُ العَواظِفِ والأَجُورِ  
مَنْ دُخِرَهُ زاكي الوفا  
ءِ، فَإِنَّهُ الشَّطْرُ الفَخُورِ  
لأبَدٍ مِنْ بَعْضِ المِرا  
رَةِ تَسْتَقِيمُ بِهَا الأُمُورُ

د . مفرح إدريس أحمد سيد

---

وفي قصيدته (عالم اليوم)<sup>(71)</sup> يلمح إلى جملة من السلبيات  
والعيوب الاجتماعية، كالفلاء، والصدقة المغشوشة، والتبرج،  
والحسد.

